خطبة صلاة الجمعة 11/10/2013 للشيخ الطبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

# "لبيك اللهم لبيك"

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فهو المهتَد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾, [سورة الحشر: 7].

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((ما مِنْ يوم أكثرُ من أن يَعْتِقَ الله فيه عبيداً من النار من يوم عَرَفَة، وإنه لَيَدْنو يتَجَلَّى، ثم يُباهي بهم الملائكة))**, [أخرجه مسلم والنسائي].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة))**, [أخرجه الترمذي].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أَكْثرُ ما دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يومَ عرفةَ في الموقف: **((اللهم لك الحمدُ كالذي نقولُ، وخيراً مما نقول، اللهم لك صلاتي ونُسُكي، ومَحْيايَ ومماتي، وإليك مآبي، ولك رَبِّ تُرَاثي, اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر،**

**ووسْوَسَةِ الصَّدْرِ، وشَتَاتِ الأمرِ، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما تجيءُ به الرِّيحُ، ومن شرِّ كل ذي شر))**, [أخرجه الترمذي].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((صيامُ يومِ عرفةَ؛ إِنِي أحْتَسِبُ على الله أن يُكَفِّرَ السنة التي بعدَه, والسَّنَّة التي قبلَهُ))**, [أخرجه الترمذي].

**عنوان الخطبة:**

## "لبيك اللهم لبيك"

**أيها الإخوة:**

خطب النبي صلى الله عليه في حجته يوم التروية, ويوم عرفة, ويوم النحر، لكن الخطبة الجامعةَ الفاذّة جاءت يوم عرفة.

قرأت الخطبة ووجدت فيها أصولاً أربعة من أصول هذا الدين، والأصل لايتغير في عسر ولا في يسر، في شدة ولا في رخاء، ونحن جميعاً محتاجون لهذه الأصول في هذه الأزمة؛ التي نرجو الله تعجيل كشفها بلطفه.

ومحتاجون أن نقول عند كل أصل منها: "لبيك اللهم لبيك"، بمعنى أننا سنطيعك يا رب فيها طاعة بعد طاعة، وسنلزم أمرك ونهيك فيها مرة بعد مرة.

جاءت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في فقرات أربع وخاتمة, وإليكم الخطبة كما جاءت في "صحيح مسلم":

**– ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.**

**– أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ:**

**وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ "ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ" كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ, فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ....**

**وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا "عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ.**

**– فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ, فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ, وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ, وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ, فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ, وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.**

– وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ؛ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ)).

**ثم تأتي الخاتمة المؤثرة:**

((وَأَنتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنتُمْ قَائِلُونَ؟)), قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ -بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ-: ((اللَّهُمَّ اشْهَدْ, اللَّهُمَّ اشْهَدْ –ثَلَاثَ مَرَّاتٍ–)).

**في هذه الخطبة كما سمعتم أربع فقرات مهمة جداً، وخاتمة مؤثرة:**

- دماؤكم وأموالكم حرام عليكم.
- وأمور الجاهلية تحت القدم.
- واتقوا الله في النساء.
- تركت فيكم كتاب الله.

**الفقرة الأولى: "دماؤكم وأموالكم حرام عليكم":**

((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا, فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)).

فلا يجوز الاعتداء والبطش والظلم، وحرمات المسلمين كحرمة البلد الحرام، يُدفع الظالم ويُعان المظلوم، ومن أعان على خصومة بظلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع.

يحرم الاعتداء على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم كما يحرم الاعتداء على الكعبة, وعلى الشهر الحرام, وعلى يوم عرفة.

تسكن امرأة مُسنّة لا زوج لها ولا ولد في دارٍ ورثتها عن أبيها, ما زال شاب من أقاربها يتودد لها ويتلطف بها، ويطلب إليها أن تسجل البيت باسمه في دائرة الطابو، ليفيد منه في زواجه إذ لا حيلة له ولا مال، حتى نزلت المسكينة على رغبته، وجعلت البيت باسمه.

فلما فعلت، ومر عام على الأمر، أخرجها من البيت وأودعها في دار رعاية المسنين.

هذا الشاب اعتدى على الكعبة، واعتدى على المسجد الحرام، واعتدى على يوم عرفة، واعتدى على البلد الحرام.

راود شاب فتاة عن نفسها، ولا زال بها، حتى نزلت على رأيه، ووعدها أنها إن مكنته من نفسها بأنهما سيتزوجان، ويبنيان بيتهما ليعيشا فيه في أسرتهما الجديدة، ثم إنه أخذ منها ما حرم الله، ومضى إلى غير رجعة.

إن أعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا.

العبارة الأولى: "حرام أن يعتدي رجل على آخر لا في مال ولا في عرض ولا في دم ولا في نفس".

ومطلوب منك أن تقول: "لبيك اللهم لبيك".

**الفقرة الثانية: "أمور الجاهلية تحت القدم":**

((أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ)).

الربا من أمر الجاهلية، والدماء والثارات من أمر الجاهلية، والتبرج في الطرقات من أمر الجاهلية، والعلاقات غير المنضبطة بالشرع بين الرجال والنساء من أمر الجاهلية، وإثارة النعرات والعصبيات من أمر الجاهلية.

كل شيء من أمر الجاهلية: عادات الجاهلية أفكار الجاهلية، مظاهر الجاهلية تحت قدمي المسلم.

الربا، والثأر، وتبرج النساء، والعلاقات غير المشروعة بين الرجال والنساء، والموائد التي تدار عليها الخمور، وحفلات المجون، وطاولات الميسر والقمار، كل هذا وأشباهه يرميه المسلم وراء ظهره وتحت قدميه, لينطلق إلى الله تعالى.

لأن المؤمن لا يكتمل إيمانه ولا يصح إيمانه حتى يكفر بالجاهلية ويؤمن بالله.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ , [البقرة: 256].

إن شهادة الإسلام –أيها الإخوة–: "لا إله إلا الله", أولها: نفي، لا إله، أن تنفي الألوهية والمرجعية والاعتماد عن أي مخلوق من المخلوقات، ثم تثبتها لله تعالى، ولا يصح إثباتك إلا بعد النفي, "لا إله إلا الله".

العبارة الثانية: "كل شيء من أمر الجاهلية ارمه أرضاً ولا تحفل به، مادام يحجبك عن ربك ودربك", ومطلوب منك أن تقول: "لبيك اللهم لبيك".

**الفقرة الثالثة: "اتقوا الله في النساء":**

**((فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ, فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ)).**

وهي الوصية بالنساء خيراً، دعماً للعلاقات الأسرية، واهتماماً من الإسلام بالمرأة: المرأة الأم، والمرأة البنت، والمرأة الأخت، والمرأة الزوجة.

إن أسمى ما يتوقع أن يصل إليه اليوم دعاة التمدن والتحضر أن تصير المرأة مساوية للرجل، في الحقوق والواجبات، والمنح والاستحقاقات والمسؤوليات، لكن ما أعطاه الإسلام للمرأة أعلى من هذا بكثير، وأغلى من هذا بكثير.

واسمعوا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ماذا يقول عن المرأة الأم.

عن طلحة بن معاوية السلمي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد, قال: **((أمك حَيَّة؟))**, فقلت: نعم, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **((الزم رجلها، فثَم الجنة))**, [أخرجه ابن ماجه والطبراني].

لا يحلم من يريدون مساواة المرأة بالرجل أن يصلوا إلى هذه الرفعة للمرأة،

وها هو صلى الله عليه وسلم يجعل رعاية المرأة البنت أو المرأة الأخت باباً إلى الجنة، وستراً من النار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((من عال ثلاث بنات، فأدبهن، وزوجهن، وأحسن إليهن، فله الجنة))**, [أخرجه الترمذي وأبو داود].

وفي رواية البخاري: **((من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن, كن له ستراً من النار))**.

وهذه العبارة الثالثة: "اتقوا الله في النساء", ومطلوب منا أن نقول: "لبيك اللهم لبيك".

**أما الفقرة الرابعة الأخيرة: "تركت فيكم كتاب الله":**

**((وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ)).**

**يا أيها الإخوة:**

مهما رجعنا إلى القرآن في علاقاتنا الأسرية، ومهما رجعنا إلى القرآن والسنة في معاملاتنا المالية، ومهما رجعنا إلى القرآن والسنة في دوائرنا القضائية، ومهما رجعنا إلى القرآن والسنة في عباداتنا، ومهما رجعنا إلى القرآن في خصوماتنا، فإن الفلاح حليفنا.

ومهما ابتعدنا عن القرآن فنحن نذهب في ضياع، فالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة سفينة نجاتنا في الدنيا والآخرة، ونحن قوم أعزنا الله بهما، ومهما أردنا العزة بغيرهما فارقتنا العزة وحالفنا الهوان.

وإذا دُعِيت إلى الله والرسول، إلى القرآن والسنة, مطلوب منك أن تقول: "لبيك اللهم لبيك".

**أيها الإخوة:**

هذه هي الفقرات الأربع المهمة جداً في خطبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أعظم يوم عند الله يوم عرفة.

**ثم تأتي الخاتمة المؤثرة:**

فقد أرسل الله رسوله بشيراً ونذيراً، مبلغاً أوامر الله وداعياً إليه، ويظهر من الخاتمة أن النبي صلى الله عليه وسلم خائف أن لا يكون أدى الذي عليه، لذلك استغل أكبر جمع للمسلمين في زمنه، وقال: **((وإنكم ستسألون عني –يعني يوم القيامة– فأخبروني ماذا أنتم قائلون؟))**.

يخاف أن لا يكون أدى واجبه.

فلما قالوها: بلغت ونصحت، وأديت؛ راح يشير إلى السماء وإليهم: **((اللهم اشهد، اللهم اشهد))**.

يا ترى إذا سأل الله تعالى الناس عنك يوم القيامة: هل كنت منضبطاً بشريعته, ملتزماً أوامره, تاركاً لنواهيه؟ فماذا سيقولون؟

لو سألهم: هل كان يقول: "لبيك اللهم لبيك" بعمله؟ أو يقولها بلسانه ويخالفها بفعاله؟ فماذا سيقولون؟

إن ألسنة الخلق أقلام الحق.

هذه هي خطبة الوداع بفقراتها الأربع، وخاتمتها.

والمطلوب منا ليشملنا الله تعالى بعنايته مع من يشملهم من أهل عرفة: أن نجتنب الحرام بالمال والدماء والأنفس، وأن نتبرأ من الجاهلية بأفكارها وأعمالها وسائر أمورها، وأن نستوصي بالنساء خيراً، وأن نتمسك بالقرآن والسنة.

والحمد لله ربّ العالمين